من الفنون البلاغية في آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم

.....

د. عبدالله بن سعد بن محمد الرويس

الأستاذ المساعد بجامعة شقراء

الملخص

يتتبع هذا البحث الفنون البلاغية التي وردت في آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم وفق العلوم الثلاثة للبلاغة، وهي : المعاني ، والبيان، والبديع. مستضيئًا بالمنهج الذي اختطه ابن أبي الأصبع المصري في كتابيه " تحرير التحبير " و " بديع القرآن " حين تتبع النص القرآني واستخرج منه ألوانًا من المحسنات البديعية .

غير أن هذا البحث زاد على صنيع ابن أبي الأصبع؛ إذ رصد ما حوته آيات خلق الإنسان من فنون البلاغة متصلًا بعلمي المعاني والبيان، مستعينًا بآراء البلاغيين في تعريفاتهم لتلك الفنون .

ABSTRACT

This research traces the rhetorical arts that were mentioned in the verses of human creation in the Holy Qur'an according to the three sciences of eloquence: meanings, rhetoric, and the art of figures of speech. In light of the methodology adopted by Ibn Abi Al-Isbi'e Al-Masry in his two books "Tahrir Al-Tahbeer" and "Badi'e Al-Qur'an" when he followed the Qur'anic text and extracted from it colors of the virtuous virtues.

However, this research has increased the work of Ibn Abi Al-Isbi'e, as he monitored the verses of the creation of man from the arts of rhetoric related to the two sciences: the meanings and the rhetoric , and using the views of the fluents in their definitions of those arts.

الكلمات المفتاحية : فنون بلاغية ، خلق الإنسان ، القرآن الكريم

مقدمة

كرّم الله الإنسان بخصائص ميزه بها عن غيره من المخلوقات، وأعلى شأنه فنال قمة رفيعة الدرجات، وكان للإسلام أثر بالغ في ذلك، فنال التقدير والعناية ليجعله سيد الخلائق، وآية من آيات الله تدل على قدرته سبحانه وكمال جلاله .

وجاء القرآن الكريم يتحدث إلى الإنسان عن الإنسان، كونه آية من آيات الله في خلقه. فهو كائن بشري بدأ الله خلقه من طين، ثم تحول بإرادة الله إلى صورة حسنة كاملة، ذات تركيبة بشرية متميزة عن باقي الخلائق .

ولم يكتف القرآن بالحديث عن خلق الإنسان على مستوى التكوين فقط ،وإنما تحدث أيضا عن حالاته من ضعف وعجلة وغير ذلك .

وحديث القرآن عن خلق الإنسان وأطواره التي يمر بها فيه جوانب كثيرة من وجوه الإعجاز على المستوى العلمي، وعلى المستوى البلاغي الذي جاءت به هذه الآيات .

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، وهي دراسة المواضع التي تحدث فيها القرآن الكريم عن خلق الإنسان دراسة بلاغية معينة على التأمل والنظر في دقة النظم وبديع التركيب وجمال التصوير .

- أسباب اختيار البحث:

١- أن ما كُتب في الإعجاز العلمي عن آيات خلق الإنسان أكثر مما كتب عن الإعجاز البلاغي؛ لذا رغبت في خدمة القرآن الكريم في نطاق هذه الآيات الكريمة، وذلك بتوضيح الفنون البلاغية الواردة فيها وأثرها في إبراز المعنى .

٢- أن الوقوف على ما حوته آيات خلق الإنسان من فنون بلاغية يساعد على تنفيذ ما أمر به ربنا – جل وعلا – من تدبر آيات القرآن الكريم، إذ يقول جل في علاه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] .

٣- أن تلمس المعاني في هذه الآيات خير معين على معرفة نعم الله الكثيرة على الإنسان، ومنها نعمة الخلق من طين التي فُضِّل بها على إبليس .

- **هدف البحث:**

الكشف عن الفنون البلاغية في هذه الآيات على مستوى علوم البلاغة الثلاثة : المعاني ، والبيان والبديع مع بيان أثر هذه الفنون في إبراز المعاني .

- **منهج البحث**

اعتمد الباحث – بعد جمع الآيات– على المنهج الوصفي في دراسة الآيات والوصول إلى الفنون البلاغية التي اشتملت عليها؛ مع تمهيد بتعريف موجز للفن البلاغي في الآية الكريمة .

وكان لزامًا على الباحث الرجوع إلى المصنفات البلاغية وكتب التفسير من أجل الكشف عن هذه الفنون .

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة، و تمهيد، و ثلاثة مباحث. في التمهيد ذكرت تعريفًا لغويًا للإنسان ثم أتبعته بمفهوم الإنسان في القرآن الكريم . أما المباحث فقد جاءت على النحو الآتي: الأول في فنون علم المعاني ، والثاني في فنون علم البيان ، والثالث في علم البديع . ثم الخاتمة ثم فهرس المصادر .

حدود البحث :

١- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النساء:٢٨]

٢- ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر:٢٦]

٣- ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [النحل:٤]

٤- ﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:٦٧]

٥- ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧]

٦- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]

٧- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٧]

٨- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٧٧]

٩- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]

١٠- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [الرحمن:٣]

١١- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن:١٤]

١٢- ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج:١٩-٢١]

١٣- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:٢]

١٤- ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس:١٨-٢١]

١٥- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق:٦]

١٦- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤]

١٧- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]

١٨- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق:٢]

مجموع الآيات (٢٦) ست وعشرون آية .

- **الدراسات السابقة :**

من الدراسات السابقة كتاب" النكات البلاغية في آيات مراحل خلق الإنسان " للدكتور : طه محمد عبدالفتاح جادو، طبعة دار غيداء بالأردن، وطُبع الطبعة الأولى ٢٠١٦م .

واقتصر المؤلف في هذه الدراسة على آيات خلق الإنسان في سورتي الحج والمؤمنين لسببين ، أولهما : إن في دراسة بقية الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان شيئًا من التكرار الذي هو آفة البحث العلمي. أما السبب الثاني فيرجع إلى إن الآيات في السورتين اشتملت على كل مراحل تخلق الجنين في بطن أمه، وجمعت آيات السورتين أطوار عمر الإنسان بعد خروجه إلى الدنيا حتى انتهاء عمر[١] .

والحق إن دراسة جميع الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان في القرآن الكريم معينة على فهمها وتمعنها ومساعدة على اكتشاف ما فيها من ظواهر أسلوبية .

وهذه الدراسة القيمة مختلفة عن البحث الذي وسمته بـــــــــ" من الفنون البلاغية في آيات خلق الإنسان" حيث شملت جميع الآيات التي ورد فيها **التصريح** بخلق الإنسان في القرآن الكريم .

التمهيد

الإنسان في اللغة :

يرى اللغويون إن الإنسان من (أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد ، وهو ظهور الشيء ، وكل شيء خالف طريقة التوحش . قالوا : الإنس خلاف الجن ، وسموا لظهورهم ...ويقال : إنسان وإنسانان وأناسي [٢] .

مفهوم الإنسان في القرآن الكريم :

هو كائن بشري مكلف يتكون من روح وجسد، وهو خليفة الله في الأرض، وهو المسؤول عن إصلاحها وعمارتها، ومطلوب منه السعي بجد في تطوير المجتمعات البشرية في كافة نواحي الحياة، وابتكار كل ما من شأنه تيسير سبل الحياة من خلال العمل في العديد من المهن كالتجارة والصناعة[٣] .

المبحث الأول :

فنون المعاني

توكيد الجملة الخبرية :

لا ينحصر غرض الخبر في التعبير الأدبي عند إفادة السامع أمراً كان يجهله، بل يرمي إلى أغراض أخرى تحمل في طياتها ألواناً من التأثير النفسي المناسب للموقف.

وعلى اختلاف أغراض الخبر تختلف المؤكدات، فمنها ما يختص بالجملة الاسمية مثل: (إنّ) و(أنّ) ومنها ما يختص بالجملة الفعلية مثل : (قد)و(السين) و (سوف) و (نوني التوكيد).

ومن أول مؤكدات الجملة في آيات خلق الإنسان " لقد " حيث جاءت مؤكدة لخمس جمل ، ففيها أُكِّد الخبر بلام القسم وحرف التحقيق " قد"، وإليك بيان توكيد هذه الجمل :

١- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢] فالخبر أُكِّد بمؤكدين وهما : لام القسم وحرف التحقيق ، إذ روعي فيه " التعريض بالمشركين المنزلين منزلة من ينكر هذا الخبر لعدم جريهم على موجب العلم "[٤] . فعنصر تكوين الإنسان هي عناصر تكوين التراب، فهو مخلوق من طين .

٢- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحِجر:٢٦] فالتوكيد هنا بـ " لقد " جاء منبهًا على أهمية خلق الإنسان بهذه الصفة [٥]، حيث خُلق من طين مصور على هيئة إنسان [٦] .

٣- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[ق:١٦] وتأكيد الخبر باللام و"قد" روعي فيه المتعاطفات وهي ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾؛ لأنهم وإن كانوا يعلمون أن الله خلق الناس فإنهم لا يعلمون أن الله عالم بأحوالهم [٧] .

٤- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤] جاء التوكيد في هذه الآية قويًا، فهو من جهة جاء جوابًا لمجموعة من صيغ القسم المتقدمة : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد:١-٣] ومن جهة

ثانية تصديره باللام الداخلة على جواب القسم، ومن جهة ثالثة استعمال " قد " المفيدة للتحقيق بدخولها على الفعل الماضي، ومن جهة رابعة استعمال ضمير الجمع المفيد للعظمة التي منحت الخطاب قوة وعمقًا كبيرين .

٥- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤] هذه الجملة مع ما عطفت عليه جاءت جوابًا للقسم . والقسم عليه يدل على " أن التقويم تقويم خفي، وأن الرد رد خفي يجب التدبر لإدراكه ... فلذلك ناسب أن يحقق بالتوكيد بالقسم؛ لأن تصرفات معظم الناس في عقائدهم جارية على حالة تشبه حالة من ينكرون أنهم خلقوا على الفطرة " [٨] .

وثاني المؤكدات (إنّ) ووردت مرتين :

١- ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج:١٩] "فالتوكيد قوّى مضمون الجملة من التعجب من هذه الخصلة البشرية، فالتأكيد لمجرد الاهتمام بالخبر ولفت الأنظار إليه والتعريض بالحذر منه " [٩] .

٢- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:٢]

والتوكيد بـ(إن) " لتنزيل المشركين منزلة من ينكر أن الله خلق الإنسان لعدم جريهم على موجب العلم حيث عبدوا الأصنام " [١٠] .

وَوَرد توكيد الخبر بالمصدر في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السجدة:٧] ، فالمعنى على أن " خلقه " بتقدير خلقه خلقا ، والضمير عائد إلى الله تعالى . والتعبير بهذا الأسلوب أبلغ في الامتنان " و ذلك أنه إذا قال : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ فهو أبلغ من قولك : أحسن خلق كل شيء ، لأنه قد يحسن الخلق وهو المحاولة، ولا يكون الشيء في نفسه حسنًا ، وإذا قال : أحسن كل شيء اقتضى أن كل شيء خلقه حسن ، بمعنى أنه وضع كل شيء موضعه " [١١] .

الالتفات:

وهو: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها "[١٢] ؛ فيكون الانتقال بالأسلوب من صيغة التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، بشرط أن يكون الضمير في

المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأول [١٣] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٤-١٥]، فانتقل السياق من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ؛ لأن التخويف والتذكير بالموت إنما يناسبه الخطاب [١٤] .

الإنشاء:

يُعرّف الإنشاء عند البلاغيين بأنه : الكلام الذي ليس لنسبته خارج يطابقه أو لا يطابقه[١٥] . وينقسم عندهم إلى قسمين: طلبي وغير طلبي، فالطلبي ما "استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب "[١٦] ويتمثل في التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء .

ويعرف الاستفهام عند البلاغيين بأنه " طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام " [١٧] .

وورد الاستفهام في آيات خلق الإنسان بعدة أدوات ، منها : الهمزة ، و أي ، وما . وإليك بيان هذه الأدوات.

١- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٦٧]

فالاستفهام بالهمزة للإنكار التوبيخي، " والواو لعطف الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها ، والمعنى " ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة ؛ لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعا واختراعا ، ولم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له، وأما النشأة الآخرة فقد تقدم عليها النشأة الأولى، فكانت كالمثال لها " [١٨] .

٢- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٧٧]

وهذه الآية معطوفة على ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾ [يس:٧١] فالاستفهام إنكار وتعجب من جهل من أنكر البعث ، فإن مشاهدة الخلق بهذه الصفة من البداية إلى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الأجسام وردِّها كما كانت [١٩] .

٣- ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس:١٩] .

فالاستفهام جاء بـ(أي) ، وغرضه زيادة التقرير في التحقير [٢٠]. وهذه الجملة مفادها الاستدلال على إبطال إحالتهم البعث وذلك الإنكار من أصول كفرهم. والاستفهام صوري ، وجعل المستفهم عنه تعيين الأمر الذي به خلق الإنسان؛ لأن المقام هنا ليس لإثبات أن الله خلق الإنسان، بل المقام لإثبات إمكان إعادة الخلق بتنظيره بالخلق الأول ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ﴾ [ق:١٥] [٢١] .

٤- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق:٥] .

(مِنْ) حرف جر ، و(ما) اسم استفهام في محل جر حُذفت منه الألف . والاستفهام غير حقيقي أجيب عنه بقوله تعالى ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [٢٢] .

وغرض الاستفهام زيادة في التقرير والتحقير. وهذه الآية فيها تنبيه الإنسان إلى مبدأ الخلق؛ ليكون ذلك دليلًا على إمكان المعاد [٢٣] .

الذّكر:

وذلك في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق:٢] حيث خُصّ الإنسان بالذكر تشريفًا له. ويحتمل لبيان قدر نعمة الله عليه ، بأن خلقه من قطعة دم رطب بعد النطفة ، حتى صار بشرا سويا [٢٤] .

التعريف:

وهو: ما دلّ على شيء بعينه [٢٥]، ويكون بالضمير، أو بالعلمية، أو بالموصولية، أو بالإشارة ، أو ب(أل) ، أو بالإضافة إلى أحد المعارف .

ومن الأغراض البيانية التعريف ب(أل) الجنسية : وهي الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد [٢٦] .

فـ(أل) الداخلة على " الإنسان " في قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨] لاستغراق الجنس حقيقة، فالمراد جنس الإنسان لا فرد معين[٢٧]، ومثلها: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج:١٩] .

التنكير:

وهو : ما دلّ على شيء لا بعينه [٢٨] .

ومما يلفت النظر في آيات خلق الإنسان التنكير في (نطفة) حيث نُكّرت في خمس مواضع، وهناك فرق "بين النطفة والمني: أن قولك النطفة يفيد أنها ماء قليل، والماء القليل تسميه العرب النطفة، يقولون: هذه نطفة عذبة، أي ماء عذب، ثم كثر استعمال النطفة في المني حتى صار لا يعرف بإطلاقه غيره، وقولنا: المني، يفيد أن الولد يقدر منه، وهو من قولك: منى الله له كذا، أي: قدره، ومنه المنا الذي يوزن به؛ لأنه مقدر تقديرًا معلومًا"[٢٩].

ويرى الدكتور أحمد بدوي أنّ التنكير في هذه الآيات يوحي بالتحقير إلى النفس [٣٠] ، وهذا ما رفضه الشيخ ابن عاشور بقوله : " وليس في ذكر النطفة هنا إيماء إلى تحقير أصل نشأة الإنسان؛ لأن قصد ذلك محل نظر، على أن المقام هنا للدلالة على خلق عظيم ، وليس مقام زجر المتكبر " [٣١] . وقد رفض الدكتور نحلة رأي الشيخ ابن عاشور وعَدَّ المقام مقام تعجب من كفران الإنسان نعمة خالقه مع أنه أنشأه من نطفةٍ، أي من شيءٍ صغير حقير لا يعزى[٣٢].

التقديم والتأخير:

هذا الفن هو أحد الأساليب النحوية التي تناولها الشيخ عبدالقاهر من وجهة بلاغية ذوقية، فهو يبحث عن مواطن السر الجمالي في تراكيب الكلام، فكان لدراسته أثر كبير فيمن بعده، فلم يخرج البلاغيون المتأخرون عما قاله إلا بشيء يسير .

ومن شواهد هذا الفن في آيات خلق الإنسان قوله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٣] فمعنى " نبتليه نختبره بالأمر والنهي . وقال بعض أهل العربية : هي مقدمة معناها التأخير ، مجازها : فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه؛ لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة " [٣٣] .

ولعل تقديم (نبتليه) في الآية السابقة من باب الاهتمام بقضية الابتلاء، فالله ما خلق العالم والإنسان والموت والحياة إلا للابتلاء والامتحان، " وليختبر خلقه أيهم أحسن عملًا، فيكون عمله موافقًا لمحاب الرب تعالى، فيوافق الغاية التي خُلق لها، وخلُق لأجلها العالم، وهي عبوديته المتضمنة لمحبته وطاعته" [٣٤] .

وفي الآية نفسها قدّم تعالى السمع على البصر؛ لأن السّمع أهم في باب التكليف والاختبار من البصر ؛ لأن فاقد السمع من الصعب تكليفه بخلاف فاقد البصر الذي يمكن تبليغه وتكليفه بشكل أسهل[٣٥] .

العطف بالفاء وثم:

العطف بغير الواو غير منظور إليه عند البلاغيين، فهم يرون أن ما سوى الواو من حروف العطف تفيد إلى جانب العطف معاني أخرى. وكان من الواجب أن تدرس هذه الروابط ويوضح أثرها في المعنى، ودقة التعبير بها، غير أن البلاغيين انصرفوا إلى مدارسة تراث الشيخ عبدالقاهر في جانبه النظري، ولم يلتفتوا إلى المناحي التطبيقية لمنهجه [٣٦].

والحق أن الشيخ عبدالقاهر "لم يشغل نفسه في البحث عن مصطلحات بقدر ما انشغل بما وراء وصل الموصول وفصل المفصول من أغراض ومبررات منطقية ونفسية وجمالية، حتى القانون الذي وضعه في النهاية لم يضع له مصطلحًا، مكتفيًا بتخصيص المصطلح العام (الفصل والوصل) بالموضوع وما يندرج تحته من أفكار"[٣٧] .

وهو ما جعل الدراسات الأسلوبية تتجاوز مسألة التشريك الإعرابي والحكمي في حروف العطف وتهتم بالتعبير عن التراسل البنائي لسياق المتعاطفات [٣٨] .

انظر إلى ذينك الحرفين (الفاء و ثم) كيف أدَّيا تلك المعاني في قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ عطف جملة (قدر) على جملة (خلق) بالفاء لإفادتها الترتيب والتعقيب، أي جعله علقة فهيأه لما يصلح له، وعطف جملة (يسّر) بـــ(ثمّ) لأن ذلك مقتض وقتًا، ومعنى " السبيل يسره ": سهل له الخروج من بطن أمه، وعطف (أمات) بـــــ(ثم) لأنه حيي زمنًا، وعطف (أقبر) بالفاء لأن ذلك عقب الموت مباشرة .

الإيجاز:

وهو: "التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف واف بالمراد؛لفائدة "[٣٩] . وينقسم إلى قسمين إيجاز القِصَر وإيجاز الحذف .

أما إيجاز القِصَر " وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩] فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه " [٤٠].

ومن صور الإيجاز بالحذف قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:٤] ، وواضح أن المراحل التي تلي النطفة محذوفة للإيجاز، حيث ذُكرت في غير هذا الموضع من القرآن، وهذا الإيجاز صوّر الإنسان في مرحلتين "ويا لها من نُقْلة ضخمة بين المبدأ والمصير، بين النطفة الساذجة والإنسان المخاصم المجادل الذي يخاصم خالقه؛ فيكفر به ويجادل في وجوده، أو في وحدانيته. وليس بين مبدئه من نطفة وصيرورته إلى الجدل والخصومة فارق ولا مهلة. فهكذا يصوره التعبير، ويختصر المسافة بين المبدأ والمصير؛ لتبدو المفارقة كاملة،

والنقلة بعيدة، ويقف الإنسان بين مشهدين وعهدين متواجهين: مشهد النطفة المهينة الساذجة، ومشهد الإنسان الخصيم المبين... وهو إيجاز مقصود في التصوير"[٤١] .

الإطناب:

وهو: " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة" [٤٢] .

ومن صور الإطناب الإيضاح بعد الإبهام ،والتفسير بعد الإجمال، ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج:١٩] ، ليكون المعنى فى صورتين مختلفتين، ليتمكن فى النفس أحسن تمكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام، تشوفت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩-٢١] فكلمة (هلوعًا) مبهمة ومجملة، ثم وضح هذا الإبهام وفسر هذا الإجمال بقوله : ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾ ، أي إن الإنسان إذ أصابته مصيبة لا يستطيع الصبر عليها لضعفه، وإذا رزقه الله رزقًا واسعًا ، بخل بما عنده ولم ينفق .

ومن صور الإطناب التكرير في قوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس:١٨-١٩] إذ يرى ابن عاشور أن إعادة " فعل (خلقه) في جملة الجواب مع العلم به بتقديم ذكر حاصله في السؤال لزيادة التنبيه على دقة ذلك الخلق البديع . فذكر فعل (خلقه) الثاني في أسلوب المساواة ليس بإيجاز وليس بإطناب "[٤٣] .

ومن الإطناب التذييل الوارد في قوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤] ، يقول ابن عاشور : " فمعنى فتبارك الله أنه موصوف بالعظمة في الخير، أي : عظمة ما يقدره من خير للناس وصلاح لهم. وبهذا الاعتبار تكون الجملة تذييلًا؛ لأن (تبارك) لما حُذِف متعلقه كان عامًا فيشمل عظمة الخير في الخلق وفي غيره . وكذلك حذف متعلق (الخالقين) يعم خلق الإنسان وغيره كالجبال والسماوات " [٤٤] .

ومن التذييل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨] يقول ابن عاشور : "تذييل وتوجيه للتخفيف، وإظهار لمزية هذا الدين، وأنه أليق الأديان بالناس في كل زمان ومكان، ولذلك فما مضى من الأديان كان مراعى فيه حال دون حال، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[الأنفال:٦٦] . وقد فسّر بعضهم الضعف هنا بأنه الضعف من جهة النساء . قال طاووس: ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء . وليس مراده حصر معنى الآية فيه، ولكنه مما روعي في الآية لا محالة، لأن من الأحكام المتقدمة ما هو ترخيص في النكاح " [٤٥] .

بناء الفعل للمجهول:

جاءت بعض آيات خلق الإنسان بحذف الفاعل ، وذلك من أجل الاهتمام بوقوع الحدث وهو الخلق، وإليك هذه الآيات :

١- ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]

٢- ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾

٣- ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج:١٩]

٤- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق:٦]

ولابن جنّي جهود في نكتة مجيء الأفعال مبنية للمجهول ، يقول : "إنَّ الفعل إذا بُنيَ للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل؛ بل ليُعْلم أنَّ الفعل قد وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكر الفاعل، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء ٣٧]، وهذا مع قوله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق ١٦]، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق ٢] فالغرض في نحو هذا المعروف: الفاعل إذا بُنيَ للمفعول إنَّما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حَسْبُ، وليس الغرض فيه ذِكْرَ من أوقعه به، فاعرف ذلك" [٤٦] .

المبحث الثاني :

فنون البيان

التشبيه :

يقوم التشبيه بوظيفة الإثبات في الأسلوب ، كأن تثبت للرجل شجاعة الأسد ، وللحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل بالنور بين الأشياء [٤٧] .

ويعرف التشبيه بأنه " صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه " [٤٨] .

ورد التشبيه في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ [الرحمن:١٤] وفي بيان هذا التشبيه يرى الرماني (ت٣٨٦هـ) أنه " تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة، وقد اجتمعا في الرخاوة والجفاف "[٤٩] .

ولعل الرُّماني يقصد أن طرفا التشبيه مختلفين جنسًا متفقين في صفة حسية موجودة فيهما على سبيل التحقيق أو التخييل ، ودلالة الكاف بمعنى (شبه) ، فتشبيه الصلصال الذي خلق من الإنسان بالفخار عائد إلى صدور الصوت منه إلى قوته ، ويؤيد النظر إلى معنى الصوت مادة الكلمة ، فإنها تحمل صلصلة وجرسًا [٥٠] .

وللمفسرين أقوال في معنى " الصلصال" فمنهم من يرى أنه الطين اليابس الذي له صلصلة ، وبعضهم يقول : إنه طين خُلط برمل ، وآخرون يرون أنه الطين المنتن، أو التراب اليابس [٥١] .

الاستعارة:

الاستعارة قائمة على التشبيه في أصلها بيد أنها مرحلة تبدو أكثر نضجاً وثراء، وأعمق دلالة، وأعقد صنعة من التشبيه، لذا فهي تأخذ أبعادًا جمالية، إذ يجتاز اللفظ المعنى الأصلي، ويحطم ذلك الحاجز المألوف، ويبدّل كل

ذلك دلالة جديدة من شأنها مصادمة أفق التوقع عند المتلقي، بما يحدث عنده نوعاً من الابتهاج للكشف عن تلك الدلالة الجديدة التي اكتسى بها اللفظ .

وتتميز الاستعارة بالإضافة إلى ذلك بمقدرتها على التكثيف والإيجاز، فكأنها اختصار للتشبيه الذي يجمع الطرفين، إذ تكتفي الاستعارة بطرف واحد، يحل محل الطرف الآخر ويقوم مقامه [٥٢] .

وتتضح الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[الأنبياء:٣٧] ، إذ ليس معنى الآية أن الإنسان مخلوق من العجل؛ وإنما المراد أن العجلة خُلقت فيه، ولما كانت طبيعة الإنسان العجلة صار

كأنه ناشيء منها، وكأنها عنصر وجوده [٥٣] .

يقول ابن عاشور : " والعَجَل : السُّرعة . وخَلْق الإنسان منه استعارة لتمكن هذا الوصف من جِبلّة الإنسانية .

شُبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفه؛ لأن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهية. فإذا فَكّر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة، وإذا فكّر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية، ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين، فلا جرَم أن كان الإنسان عَجولاً بالطبع؛ فكأنه مخلوق من العَجَلة. ونحوه قوله تعالى : ﴿وكانَ الإنسانُ عَجولاً﴾ [الإسراء : ١١] وقوله تعالى : ﴿إنّ الإنسانَ خُلقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج : ١٩]. ثم إن أفراد الناس متفاوتون في هذا الاستعجال على حسب تفاوتهم في غور النظر والفكر، ولكنهم مع ذلك لا يخلون عنه " [٥٤] .

وهناك من حمل الآية السابقة على القلب[٥٥]، وهو رأي يرفضه ابن جني مبينا أن الأحسن أن يكون تقديره: "خُلِقَ الإنسان من العجلة"؛ لكثرة فعله إياه واعتماده له، وهو أقوى في المعنى من القلب؛ لأنه أمرٌ قد اطّرد واتسع، فحمله على القلب يبعد في الصنعة ويضعف المعنى [٥٦] .

الكناية:

وهي : " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " [٥٧] .

وتتضح الكناية في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] يقول ابن عاشور :

" والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال؛ لأن القرب يستلزم الاطلاع ، وليس هو قربا بالمكان بقرينة المشاهدة فآل الكلام إلى التشبيه البليغ تشبيه معقول بمحسوس ، وهذا من بناء التشبيه على الكناية بمنزلة بناء المجاز على المجاز .

ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان، فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد . وبذلك فاق هذا التشبيه لحالة القرب كل تشبيه من نوعه ورد في كلام البلغاء. مثل قولهم : هو منه مقعد القابلة ومعقد الإزار..."[٥٨].

التعريض :

يُعرّف التَّعريض بأنه : " اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي"[٥٩]. ويخالف التعريض الكناية ، إذ " التَّعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التَّعريض من جهة المفهوم، لا بالوضع الحقيقي، والمجازي " [٦٠]، وهناك فرق آخر يعود إلى دلالة الكناية اللفظية ودلالة التَّعريض الاستتباعية. " فالكناية تشمل اللفظ المفردَ والمركبَ معًا، وأما التَّعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد ألبتة " [٦١] .

ومما جاء من التعريض قوله تعالى :﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق ٢] ، فذكر تخصيص خلق الإنسان من بين سائر المخلوقات مطرد في مقام الاستدلال، فالإنسان لابد أن يخطر بباله مَنْ خالقه ومَنْ موجده؟ ، وهذا " تعريض بتحميق المشركين الذين ضلوا عن توحيد الله مع أن دليل الوحدانية قائم " [٦٢] .

المجاز العقلي :

ويُراد به " كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول " [٦٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق:٦] فقد أُسند دافق إلى ضمير الماء ؛ أي : أسند إلى المفعول؛ لأن الماء المدفوق لا دافق، وأصل الإسناد ماء دافق صاحبه ، ولكن المجاز أبلغ هنا من الحقيقة لما فيه من المبالغة في الدفق ، وكأن الماء لسرعة اندفاعه دافق بعضه بعضًا ، فالعلاقة هنا هي المفعولية .

المبحث الثالث :

فنون البديع

الإرصاد:

وله عدة مصطلحات منها: التسهيم، والتوشيح [٦٤].

ويعرفه البلاغيون بأنه ما كان قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرف الرَّوي[٦٥] .

وهو على قسمين : لفظي ومعنوي .

فمن اللفظي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ فإذا سمعها السامع وسمع بعدها ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ سيعلم أن ما بعدهما قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؛ لأن صدر الكلام دل على عجزه، حيث جاءت (خلقنا) في صدر الآية الأولى ثم تكررت بعض حروفها في (خلقًا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ فمن المتوقع أن تشتمل الفاصلة على (الخالقين) في قوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤] .

وهذا الأسلوب البديعي يدل على قوة سبك الكلام وترابط أجزائه، بحيث يقود أول الكلام إلى آخره ويأتي في موضعه بشكل عفوي متفقا مع ما قبله [٦٦] .

رد العجز على الصدر:

وهو في النثر " أن يُجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها " [٦٧] .

ومن شواهده قوله تعالى ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧] ، فقد جاءت (عجل) في آخر صدر الآية ، ثم ختمت الآية بـــ(تستعجلون) .

وترجع بلاغة هذا الفن إلى دلالته على تأكيد المعاني وتقريرها، وذلك أن اللفظ عندما يكرر أو يذكر مجانسًا للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر[٦٨] .

إذ تجد أن تكرار (ع ج ل) في أول الآية وآخرها أكّد على النهي عنها مع أن النفس جُبلت عليها ، فليس ببدع منك أيها الإنسان أن تستعجل، فأنت مجبول على ذلك، وهو طبعك وسجيتك [٦٩] .

السَّجع:

يقصد بالسجع في هذا الموضع الفاصلة المسجوعة التي تؤذن بانتهاء المعنى، وانتهاء النغمة [٧٠] .

وتُعرَّف الفاصلة القرآنية بأنها آخر كلمة في الآية القرآنية ؛كالقافية في الشعر، وهي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني [٧١] .

والفاصلة في القرآن تأتي تابعة للمعنى، وحسب ما يتطلبه المقام، فلا تحل فاصلة محل أخرى، "فالسجعات نازلة في مواضعها، ملائمة لموقعها، بريئة من التكلف، تتبع فيها الألفاظ المعاني، فلا نقص ولا زيادة، ولا تكرار لضرورة السجع " [٧٢] .

وللفاصلة القرآنية وظائف عدة، منها الإيقاع الصوتي الذي يعطي نغمًا محببًا للنفوس ، تلذُّ له الأسماع العربية المجبولة على حب القوافي في الأسجاع والأشعار .

وتقوم الفاصلة القرآنية بإحكام المعنى، وإبلاغه حسب المقام الذي وردت فيه .

ومن جميل الفواصل في آيات خلق الإنسان قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ فحسن الفاصلة في " من طين " و" ماء مهين " أدى إلى حسن النغم الموسيقي ، وأحكم المعنى، فعرض مسألة خلق الإنسان وتكوينه تحتاج إلى اعتبار وتأمل ، " إذ جعل الله تكوين هذا الجنس المكتمل التركيب العجيب الآثار من نوع ماء مهراق لا يعبأ به ولا يصان" [٧٣] .

الخاتمة

في ختام هذا البحث تجلت الكثير من الفنون البلاغية للآيات الكريمات، فعند النظر في علم المعاني وجد الباحث أن الأخبار قد جاءت في أغلبها مؤكدة بمؤكد واحد أو أكثر بحسب أحوال المخاطبين والسياق الذي جاءت فيه الآية. ثم انتقل الحديث إلى الالتفات الذي جاءت منه بعض الصور تطرية لذهن السامع وتنشيطًا له. ثم تناول البحث الإنشاء، ودرس فيه الاستفهام الوارد في الآيات، والمعاني التي خلف هذا الأسلوب. ثم عرّج البحث إلى فن الذِّكر والنكتة في ذكر الإنسان في أنموذج من نماذج الآيات. ثم استعرض البحث الأسرار البلاغية التي وراء التعريف والتنكير. ففي التعريف تناول الباحث التعريف بأل وفي التنكير درس الباحث تنكير " نطفة "، والسرّ البلاغي وراء هذا التنكير. ثم انتقلت الدراسة إلى التقديم والتأخير، ثم إلى الإيجاز والإطناب حيث استعرض البحث بعضًا من نماذجهما وصورهما .

وفي مبحث البيان درس الباحث موضعًا واحدًا للتشبيه، أبان فيه عن الغرض الذي سعى إليه هذا التشبيه، وهو البيان عن حقيقة عملية الخلق التي هي غائبة عن الإنسان. ولا يبعد الأمر عن الاستعارة التي لم ترد إلا في موضع واحد وجاءت مصورة لحقيقة الإنسان، وذات دقة فائقة في اختيار الألفاظ . أما الكناية فقد وردت مشتملة على تجسيد المعنى وإبرازه .

وفي مبحث البديع درس الباحث الإرصاد، ورد العجز على الصدر، والسجع في الآيات الكريمة، وأبان عن موضع هذه المحسنات والسر البلاغي خلفها .

الهوامش ومصادر البحث

(١) ينظر : النكات البلاغية في آيات مراحل خلق الإنسان " للدكتور : طه محمد عبدالفتاح جادو، طبعة دار غيداء بالأردن، وطُبع الطبعة الأولى ٢٠١٦م ، ص٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، دار الجيل ، د.ط ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) ينظر : الإنسان في القرآن ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٤ ، ٢٠٠٥م ، ص ١١ – ٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، ج١٨ ص ٢٢ .

(٥) ينظر : المرجع السابق : ج ١٥ ص ٤٢ .

(٦) ينظر : الإنسان : وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم ، عبدالرحمن إبراهيم المطرودي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص ١٣ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ج ٢٧ ص ٢٩٩ .

(٨) المرجع السابق : ج ٣١ ص ٤٣٢ .

(٩) التحرير والتنوير: ج ٣٠ ص ١٦٦ .

(١٠) المرجع السابق : ج٣٠ ص ٣٧٣ .

(١١) البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر الزركشي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص ٤٤٣ .

(١٢) الإيضاح وبهامشه البغية : ج ١ ص ١١٥ .

(١٣) ينظر : فن البلاغة ، عبدالقادر حسين ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥ه – ١٩٧٤م ، ص ٢٨٠ .

(٦) التحرير والتنوير : ج١٨ ص ٢٦ .

(١) ينظر : تلخيص المفتاح ، للقزويني . ضبط وشرح : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط،د.ت .ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق : ١٥١ .

(٣) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ه ، ج٣ ص ١٥٨.

(١٨) فتح القدير ، محمد علي الشوكاني ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ه ، ج٣ ص ٤٠٥ .

(١٩) ينظر : المرجع السابق : ج ٤ ص ٤٣٩ .

(٢٠) ينظر : التفسير الكبير ، فخر الرازي ، دار الفكر بيروت ، ط١ ، ١٤٠١ه – ١٩٨١م ، ج ٣١ ص ٦٠ .

(٢١) ينظر : التحرير والتنوير : ج ٣١ ص ١٢٢ .

(٢٢) ينظر : المرجع السابق : ج ٣١ ص ٢٦١ .

(٢٣) ينظر : التفسير المنير ، أ. د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م ، ج ٣٠ ص ١٧٧ .

(٢٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م ، ج ٢٢ ص ٣٧٧ .

(٢٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط٢ ، ١٩٩٦م ، ص ٣٨٢ .

(٢٦) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر: ج١ ص ١٧٨-١٧٩ .

(٢٧) ينظر : التحرير والتنوير : ج٣٠ ١٦٦ .

(٢٨) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ص ٣٨٢ .

(٢٩) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : بيات الله بيات ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢ه ، ج١ ص ٥٤٢ .

(٣٠) ينظر : من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، نهضة مصر ، ط٥ ،٢٠٠٨م ، ص ١٠٣ .

(٣١) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ١٢٣ . في سورة عبس عند الآية رقم ١٩ (من نطفة خلقه فقدره) .

(٣٢) ينظر : لغة القرآن الكريم في جزء عم، د. محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨١م، ص ٣٩٦ .

(٣٣) الكشف والبيان ، أحمد بن محمد الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م ، ج ١٠ ص ٩٤.

(٣٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٦١

(٣٥) ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية ، د. ط ، د.ت ، ج٧ ص ٢٩٤ .

(٣٦) دلالات التراكيب ، أ. د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٤٧ .

(٣٧) بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، أ. د. منير سلطان ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط٣ ، ١٩٩٦م ، ص ١٨٠ .

(٣٨) ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم " دراسة أسلوبية " ، د.عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٤٢ .

(١) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص ١٨٢ .

(٢) الإيضاح وبهامشه البغية ، الخطيب القزويني ،مكتبة الآداب،القاهرة، د.ط، د . ت . ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤١) تفسير في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٣٢ ، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م ، ج ٤ ص ٢١٦٠ .

(٤٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : أحمد الخوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٤٣) التحرير والتنوير : ج ٣١ ص ١٢٣ .

(٤٤) المرجع السابق : ج ١٩ ص ٢٥ .

(٤٥) التحرير والتنوير : ج ٥ ص ٢٢ .

(٤٦) المحتسب ، عثمان بن جني ، وزارة الأوقاف ، د.ط ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٤٧) ينظر: أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢ه – ١٩٩١م، ص ٨٧ .

(٤٨) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : د. النبوي شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ه – ٢٠٠م ، ج ١ ص ٤٦٨ .

(٤٩) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد حلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف

، ط٣ ، د.ت ، ص ٨٥ .

(٥٠) ينظر : أدوات التشبيه (دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم) ، أ. محمود موسى حمدان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص ١٥٤- ١٦١ .

(٥١) ينظر : تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩ه ، ج٤ ص ٤٥٨ .

(٥) ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م .ص ٢٠١ .

(٥٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع ، محمد بن صالح بن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢٢ه ، ج ٢ ص ١٤٢ .

(٥٤) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٦٨ .

(٥٥) ينظر : جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م ، ج ١٨ ص٤٤٣.

(٥٦) ينظر :المحتسب ج ٢ص ٤٦ .

(٥٧) الإيضاح وبهامشه البغية ج٣ ص ١٥٠ .

(٥٨) التحرير والتنوير : ج ٢٧ ص ٣٠١ .

(٥٩) المثل السائر : ج ٣ ص ٦٧

(٦٠) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٦١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٦٢) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٣٨

(٦٣) أسرار البلاغة ص ٣٨٥ .

(٦٤) ينظر : العمدة في صناعة الشعر ونقده ج ١ ص ٦١٤ .

(٦٥) ينظر :الإيضاح وبهامشه البغية : ج ٤ ص ١٧ .

(٦٦) ينظر : طراز الحلة وشفاء الغلة ، أحمد بن يوسف الرعيني ، تحقيق : د. رجاء السيد الجوهري، مؤسسة المختار الثقافية ، الإسكندرية ، د.ط ، د.ت ، ص ٤٠٧ . وينظر: علم البديع ، أ.د: وليد قصاب ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص ٤٢

(٦٧) الإيضاح وبهامشه البغية ، ج٤ ص ٧٤ .

(٦٨) ينظر : علم البديع دراسة تاريخية وفنية ، أ. د: بسيوني فيود ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص ٣١٤

(٦٩) البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت د.ط ، ١٤٢٠هـ ، ج ٧ ص ٤٣١ . وينظر : أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م ، ج ٤ ص ١٥١ .

(٧٠) ينظر : البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ٤٢

(٧١) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣م ، ج١ ص ٨٣-٨٤

(٧٢) سجع القرآن الفريد ، أحمد الحوفي ، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ، عدد : ٢٨، نوفمبر، ١٩٧١م ، ص ٩٦

(٧٣) التحرير والتنوير : ج ٢٢ ص ٢١٦ .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- **أولا : الكتب**

١- أدوات التشبيه (دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم) ، أ. محمود موسى حمدان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٢- أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢ه - ١٩٩١م .

٣- أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٥ه - ١٩٩٥م .

٤- الإنسان في القرآن ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٤ ، ٢٠٠٥م .

٥- الإنسان : وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم ، عبدالرحمن إبراهيم المطرودي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٦- الإيضاح وبهامشه البغية ، الخطيب القزويني ،مكتبة الآداب،القاهرة، د.ط، د . ت .

٧- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت د.ط ، ١٤٢٠هـ .

٨- البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦م ،

٩- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر الزركشي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

١٠- بلاغة العطف في القرآن الكريم " دراسة أسلوبية " ، د.عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م .

١١- بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، أ. د. منير سلطان ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط٣ ، ١٩٩٦م .

١٢- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر .

١٣- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ه .

١٤- تفسير في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٣٢ ، ١٤٢٣ه - ٢٠٠٣م .

١٥- التفسير الكبير ، فخر الرازي ، دار الفكر بيروت ، ط١ ، ١٤٠١ه - ١٩٨١م .

١٦- التفسير المنير ، أ. د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م .

١٧- تلخيص المفتاح ، للقزويني . ضبط وشرح : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط،د.ت .

١٨- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد حلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٣ ، د.ت .

١٩- جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م .

٢٠- الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م .

٢١- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

٢٢- دلالات التراكيب ، أ. د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

٢٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢٤- الشرح الممتع على زاد المستقنع ، محمد بن صالح بن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢٢ه .

٢٥- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م .

٢٦- طراز الحلة وشفاء الغلة ، أحمد بن يوسف الرعيني ، تحقيق : د. رجاء السيد الجوهري، مؤسسة المختار الثقافية ، الإسكندرية ، د.ط ، د.ت .

٢٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ه .

٢٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : د. النبوي شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ه – ٢٠٠م .

٢٩- علم البديع ، د. وليد قصاب ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م ،

٣٠- علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت ،

٣١- فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية ، د. ط ، د.ت .

٣٢- فتح القدير ، محمد علي الشوكاني ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ه .

٣٣- فن البلاغة ، عبدالقادر حسين ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥ه – ١٩٧٤م.

٣٤- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : بيات الله بيات ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢ه .

٣٥- الكشف والبيان ، أحمد بن محمد الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م .

٣٦- لغة القرآن الكريم في جزء عم، د. محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨١م.

٣٧- المحتسب ، عثمان بن جني ، وزارة الأوقاف ، د.ط ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م .

٣٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : أحمد الخوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

٣٩- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط٢ ، ١٩٩٦م .

٤٠- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، دار الجيل ، د.ط ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م .

٤١- من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، نهضة مصر ، ط٥ ،٢٠٠٨م .

٤٢- النكات البلاغية في آيات مراحل خلق الإنسان " للدكتور : طه محمد عبدالفتاح جادو، طبعة دار غيداء بالأردن، وطُبع الطبعة الأولى ٢٠١٦م .

ثانيا : المجلات والدوريات

- سجع القرآن الفريد ، أحمد الحوفي ، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ، عدد : ٢٨، نوفمبر، ١٩٧١م .